العرب
الإثنين 2020/12/21
السنة 43 العدد 11918

فيلم خيال علمي يزاوج بمهارة بين الفانتازيا والأكشن

«وحوش الإنسان» كائنات روبوتية تلاحق البشر وتفتك بهم وسط الغابات

حياة يومية يتسلل إليها الذكاء الاصطناعي ويجعلها أكثر تقدّما ورفاهية، وحياة أخرى يدخلها ذلك النظام المتطوّر أيضا فيحيلها إلى جحيم. وما بين العالمين هناك الكائن الروبوتي الذي سوف يحتل موقعا مهما في ذلك الأفق المستقبلي، ضمن هذه الرؤية الفانتازية الممزوجة بالخيال يتنزّل الفيلم الجديد "وحوش الإنسان" للمخرج مارك تويا.

طاهر علوان
كاتب عراقي

يعرض حاليا في الصالات العالمية فيلم "وحوش الإنسان" للمخرج مارك تويا، وهو نفسه كاتب السيناريو، مستعرضا قصة درامية أراد المخرج من خلالها أن يحقّق مجموعة أهداف دفعة واحدة تجمع بين المستقبليات والخيال العلمي والفانتازيا والحركة والعنف والصراعات ومشاهد القتال وغير ذلك.

نحن هنا في بلد آسيوي ربما تكون تايلاند أو كمبوديا، حيث يصل فريق مكلف من المخابرات ووزارة الدفاع الأميركية وتحت إشرافها، بمهمة سرية عاجلة، ومن بين أعضاء الفريق شباب مطوّرون لنظام الروبوت.

وسرعان ما يتم نقلهم إلى إحدى المناطق المحاذية لإحدى الغابات النائية، وهناك يتم إنزال أربعة جنود روبوتيين، والغاية هي دراسة مدى استجابتهم للظروف القتالية الصعبة بقدراتهم الخاصة ودونما إسناد من الأقمار الصناعية.

تلك الغابات تعجّ بتجار المخدرات والعصابات، وفي الوقت نفسه يصادف وصول الجنود الروبوتيين فريق تطوعي لطلبة لا يزالون يدرسون الطب ويقدّمون خدماتهم للفلاحين، لكنهم سرعان ما يصبحون هدفا غير متوقع للجنود الروبوتيين المتوحشين، إذ إنهم وبعض القرويين سوف يكونون شهودا على شكل وأداء وجرائم ووحشية الجنود الروبوتيين، ولهذا تأمر إدارة البنتاغون الجنود الآليين بتصفية أي شاهد محتمل يكون قد اطلع على أي تفصيل من تفاصيل المشروع السري.

يبرز وسط هذه الدوامة المشتعلة والمتصاعدة في وسط الغابات ميسون (الممثل بريت تيتور) الذي سيجد نفسه من دون إرادة منه، وهو يقود مسيرة إنقاذ لأولئك القرويين ولفريق المتطوعين من الممرضين والأطباء المتدربين، ولنكتشف في ما بعد أن ميسون ما هو إلا جندي متقاعد من المارينز، ولهذا فإنه يدرك جيدا أسرار اللعبة، ولكن ضمن حدود معينة، لأن كل ما يجري من حول الروبوتات معلوم ومرصود عبر الشاشات، حيث يحضر عن الجهة الأخرى المشرف على المشروع، الجنرال (الممثل نيال مكدونوه) الذي يصدر الأوامر ويدير العمليات الحربية.

الفيلم يستعرض دوامة من العنف والملاحقات الوحشية لجنود روبوت يفتكون بالبشر وسط الغابات الاستوائية

يبدو السرد الفيلمي مبنيا على تنوّع وجهات النظر وهو ما حرص عليه المخرج بشدة، فعلاوة على هذا التنوّع في وجهات النظر، هناك أيضا طابع الحركة والمطاردات والكثير من الشجن والشحن العاطفي، خاصة في المشاهد المروّعة لمقتل المدنيين، ومن ثمّ تتم بالفعل عملية إبادة جماعية للمدنيين الذين شاهدوا مشروع الروبوتيين بوصفهم مجرد فئران تجارب لا تستحق الحياة، ولهذا فإن ضحايا تلك المواجهة هم من بين الروبوت والبشر.

على الجهة الأخرى سوف تتجسّم صور وأفعال العديد من الشخصيات، ومنها أعضاء فريق العمل المساعد وهم في الأصل مجبورون في النهاية على جعل المدنيين ضحايا يتم اصطيادهم من قبل الروبوتات خوفا من افتضاح المشروع برمته.

وعلى الرغم من الشكل الفانتازي للفيلم، إلا أن المخرج تويا نجح في تقديم قصة درامية مشوقة وقرّب صورة الروبوتات المسلحة من أذهان المشاهدين، ولربما كانت هناك مساحة غرائبية ومبالغ فيها، ومع ذلك تمكّن المخرج من السيطرة عليها واحتوائها من خلال مشاهد الحركة.

تطغى على الفيلم مشاهد الحركة والمطاردات، ولهذا استوجب استخدام القطع المونتاجي السريع لتجسيد صور المعارك والصراعات، فضلا عن توظيف مسحة إنسانية، وخاصة لما يتعرّض له القرويون من إيذاء، ومقتل والدي الطفل الذي سوف يرعاه ميسون، وخلال ذلك كان هناك تركيز لافت للنظر على ردود أفعال الشخصيات وهي في دوامة ذلك الصراع الذي لا تعلم كيف سوف تخرج منه. في المقابل هناك الحوار الجاد والصارم والأوامر التي يصدرها الجنرالات المشرفون على المشروع، وبذلك انقسم السرد الدرامي في الفيلم إلى ثلاثة أقسام رئيسية، الأول هو الذي يمثله المشرفون على المشروع، والثاني، قسم المنفذين عن بُعد والطامعين بمكافأة وإن ارتكبوا جرائم متلاحقة، وأما القسم الثالث فالمتعلق بالضحايا الذين سوف يعيشون ذلك الجحيم بكامله.

لا أحد ينتبه لصوت الضحايا وسط الغابات

على أننا في وسط ذلك سوف نتابع رفض بعض المنفذّين الذين يصدرون الأوامر للمضي في قتل المدنيين الأبرياء ولكن ما من جدوى، لأنهم بلا قوة ولأن الجنرالات كانوا قد تركوا حلقة وصل بين الجانبين من خلال سفاح متوحش هو بولر (الممثل خوسيه روسيت) الذي لا يتورّع في ملاحقة فيلدنغ (الممثلة جيسيكا بلاكمور) وهي ضمن فريق المنفذين ومصمّمي المشروع، التي ترفض بشدة قتل المدنيين للتأكّد من نجاح سلاح الروبوتات -الجنود، ولهذا يكرّس لها الفيلم مساحة مهمة تنتهي بمقتلها.

لا شك أن المخرج مارك تويا أجاد بشكل واضح الموازنة المطلوبة بين خطوط سردية ودرامية متعدّدة وفق مسارات فيلمية كانت أقرب إلى الانفراط، لكنه حقّق إشباعا في كل منها، لاسيما وهو يغوص بالمشاهد وسط الغابات والكهوف الاستوائية ثم ينتقل إلى مكاتب المخابرات المركزية الأميركية، وما بين ذلك التركيز على الجانب الفضائحي في تلك العمليات الإجرامية التي كان الهدف منها التأكّد من نجاح تلك الروبوتات في مهامها في أصعب الظروف.

> السرد الفيلمي مبني على تنوّع في وجهات النظر، مع إضفاء الكثير من الحركة والمطاردات والشجن العاطفي

«أثر سيرج» تجريب مسرحي يملأ الفراغ بالفن

"أثر سيرج" هي آخر عرض للفرنسي فيليب كين في المركز الدرامي الوطني بنانتير أماندييه الذي أداره طيلة ستّ سنوات. وهي مسرحية تتميز، كسائر أعماله الأخرى، بالطرافة والشاعريّة في تناول تفاصيل المعيش اليومي مثل عالم طبيعيات.

أبوبكر العيادي
كاتب تونسي

يعتبر فيليب كين، الذي يحتفل هذه السنة بعامه الخمسين، من المسرحيين الذين أضافوا بصمة خاصة إلى المشهد المسرحي الفرنسي، فهو لا ينى يسلط على علاقة الإنسان بالطبيعة نظرة مجهرية بحثا عن التفاصيل الصغرى، كما كان يفعل صغيرا بالحشرات التي يجمعها في تشكيلات فريدة.

ذلك أن تصوّره للسينوغرافيا له صلة بالنظام البيئي، كما في أعماله "أكال الأجنحة" و"تجارب" و"حسب الطبيعة" و"كآبة التنانين" و"نادي المستنقع"، و"أثر سيرج" التي يودّع بها روّاد المركز الدرامي الوطني بنانتير أماندييه في الضاحية الغربية للعاصمة الفرنسية باريس، الذي يديره منذ 2014.

وكان لتجربته هذه من الطرافة ما أكسبه حضورا متميّزا خارج حدود فرنسا، حيث ساهم في بعض المحافل الأوروبية كمسرح الغرفة في ميونخ، ومهرجان الفنون ببروكسل. وبعد اثني عشر عاما من ظهوره أول مرة في مهرجان أفينيون، عمّق مجراه، دون أن يهجر هوسه بطابعه الفني المخصوص، فقد استطاع في الأعوام الأخيرة أن ينجز أعمالا متفردة جلبت له الاحترام.

هذا العمل أعدّه كين خصيصا لممثله الأثير غايتان فورش، ولكنه ليس من نوع الـ"وان مان شو" بل هو عرض بسيط في ظاهره عميق في مراميه، لأن كين أراده تحيّة إلى كل من حاولوا ويحاولون التعبير عن مطامحهم الفنية، في بيوتهم، رفقة أقاربهم أو أصدقائهم، باقتراح أشياء طريفة قد تنجح فتنال الإعجاب، وقد تفشل فتثير الضحك البريء، والسخرية المرحة التي يتبادلها الأصدقاء عادة في ما بينهم.

جمع بين الفن التقليلي والمسرح التجريبي

فالمحاولات الفنية هنا لا تتجاوز كل واحدة منها ثلاث دقائق، تتجلى فيها براعة المخرج والممثل، حيث يمرّ المتفرج من دهشة إلى أخرى على أنغام ليد زيبلين وفاغنر، ولا يملك إلا الإعجاب بالكيفية التي يحوّل الرجلان فيها رتابة الحياة اليومية إلى لحظات مسرحية مثيرة، تمتزج فيها الشاعرية بالسموق. فكين الذي تسكنه رغبة تقديم عبثية السلوك الإنساني، يجعل من فضائه الركحي مخبرا حيّا، يدعو من خلاله جمهوره إلى تأمل الفرد في إهابه الطبيعي وعاداته اليومية البسيطة.

تدور "أحداث" هذا العمل المسرحي في شقة رجل في الثلاثين من عمره تقريبا يدعى سيرج، اعتاد أن يستقبل أصدقاءه كلّ أحد، ليقدّم أمامهم عروضا تتراوح مددها بين دقيقة وثلاث دقائق. هذه العروض الوجيزة، التي تقع بين ممارسة الهواية والفن التقليلي التجريبي، يقدّمها سيرج في ديكور شقته احتفاء بالابتكار الخالص والفرح الهادئ بمشاركة أصحابه ابتكاراته.

وهي ابتكارات تتجدّد كل أسبوع، عن طريق رسوم لامعة باستعمال الليزر، وتجريب تأثير موسيقى معاصرة في المستمعين، وحتى تموّج أضواء سيارة. بل قد نشهد أحيانا ظهور سيارة على الخشبة، أو رائد فضاء يطلّ من فرجة الشقة البلورية.

على موكيت الصالون، حيث طاولة صولجان، وتلفزيون في الركن، وأكياس بطاطا مقلية وأشياء أخرى صغيرة مبعثرة هنا وهناك، يشكّل سيرج فضاء تتجلى فيه تفاصيل من الحياة اليومية، منظمة أو عفوية أو مباغتة، مثلما تتجلى فيه دعوة إلى ملء الفراغ بأنشطة يمكن أن يبتكرها المرء بمفرده، داخل بيته، لمتعته الخاصة، أو لإبهار أصحابه.

وما يعرضه كشريحة حياتية لها وقع خرافة عن الفراغ في معيشنا اليومي، لكونها تقدَّم كألعاب طفولية مسلية، فيما هي تعالج قضية جادة: كيف يؤثّث المرء حياته ويقيم في العالم؟ والمخرج يبدع في إضفاء نوع من الضبابية بين الخشبة والحياة الحقيقية في البيت، بين الزمن التخييلي والزمن الواقعي، ما يجعل المتفرج يحس أنه إنما يشهد لقاء بين بعض الأصدقاء ينتهي بجلسة حميمة يتناولون فيها مشروباتهم.

والمسرحية تجيب عن السؤال أعلاه بطريقة قد تبدو بسيطة وحتى منتقدة للخلق المسرحي، ولكنها في الواقع تقيم الدليل على أهمية عملية الخلق، فالرقص والتنقل والجلوس في وضعية ثابتة للتأمّل أو الإنصات هي أيضا من مكوّنات الكوريغرافيا المعاصرة، التي يتبناها كين في طريقة حشد الطاقات المختلفة لدى فرد جالس وآخر متحرّك ناشط فاعل.

> أحداث المسرحية تدور في شقة رجل ثلاثيني، اعتاد استقبال أصدقائه كلّ أحد، ليقدّم أمامهم عروضه الموجزة

"أثر سيرج" تلخص في حد ذاتها مقاربة كين المسرحية، ففيها يستعرض مجموعات بشرية تتجاوزها مشاكل العالم، فيجتمعون لإيجاد حلول على مستواهم، بسيطة وشاعرية وحميمة. وقد حازت الإعجاب حيثما عرضت، في أكثر من ثلاثين بلدا، رغم أن العجيب فيها يولد من لا شيء، والنقد المشوب أحيانا ببعض الكآبة يساهم في إضفاء جدية يخالها المتفرج غائبة لأول وهلة، ولكن حين يتعمّق في ما يعرض عليه يدرك أنها كامنة في مسار العمل كله، حتى في المواقف الهزلية.

يقول كين عن بطله "سيرج هو شخص حرّ، يبدع دون أن يقدّم طلب تمويل أو يستجيب لمعايير إنتاج. يمنح نفسه حق الحلم وابتكار أشيائه الصغرى، في بيته، وأمام أصحابه. يمكن القول إنّ له جانبا طفوليا، فعروضه عارضة، عابرة، زائلة، لا يراد منها في النهاية غير لفت الانتباه لما حولنا، لبيئتنا التي نحيا فيها جميعا".

الوجه مرآة للاعتراف

فاروق يوسف

لطالما حلم الرسامون بأن يستخرجوا من أعماق اللوحة البيضاء شخصا يشبههم. شخصا يقول لهم الحقيقة. حقيقة الألم واللذة ممزوجين أثناء القيام بممارسة الرسم. ذلك الشخص الذي يقف بينهم وبين أرواحهم. لذلك رسموا وجوههم في حالات ومراحل مختلفة. فعل ذلك رامبرانت وهو يسجل سيرة جسده من الشباب إلى الشيخوخة. فريدا كاهيلو رسمت نفسها غرورا لتهزم العالم الذي حطمها. أما فنسنت فان غوخ فإن أحدا لم يسبقه في ماراثون الوصول إلى النفس الأخير.

رسم 39 لوحة لوجهه في أربع سنوات قضاها في آرل جنوب فرنسا قبل أن ينتحر. كانت تلك هي رسالته إلى العالم الذي نبذه ودعاه إلى أن يهجره.

اليوم ينظر العالم إلى تلك اللوحات باعتبارها جزءا من كنوزه الروحية. هل علينا أن نصدق ذلك؟ فنسنت لم يكن يلهو. كان في حالة نفسية لا تسمح له باللهو. وكان يعبئ صوره مشاعر وأفكارا بل وصراخا عجزت رسائله إلى أخيه تيو أن تستوعبه.

وبتأثير من فنسنت تعلّق الكثير من الرسامين بالوجه ليشقوا من خلاله طريقهم إلى النفس البشرية. كانت الصداقة تهيم فوق خرائط ذلك الوجه. ثلاثة رسامين هم لوسيان فرويد وفرنسيس بيكون وديفيد هوكني رسم بعضهم البعض الآخر وكانوا يشعرون بالبهجة، إذ أن كل واحد منهم اكتشف شيئا من نفسه في أعماق الآخريْن. كان الوجه ممرّا إلى روحه. لم يرسموا وجوه بعضهم للذكرى.

"ترسمني لكي ترى نفسك قبل أن تراني"، كانت تلك الجملة التي يمكن أن يقولها الشخص الذي يجلس لكي يُرسم. وإن ترسم رساما فالأمر لا يخلو من التحدّي. ذلك لأن الرسام لن يغفر لك خطأ ترتكبه وأنت تحاول الكشف عمّا لا يراه شخصيا في المرآة.

مرآة الرسام لا تُظهر الملامح الخارجية فقط بل تذهب إلى أعماق الروح. لقد قام فنسنت بأعظم نزهة يمكن أن يقوم بها رسام. فكانت لوحاته الشخصية بمثابة محطات تعرّف من خلالها على ما يحدث داخليا وترك لنا سجلا عن الروح البشرية، وهي تكشف عن تجلياتها التي تضيء ليل المعرفة.

حين يرسم الرسام وجهه فإنه يقف أمام الشخص الذي يشبهه في لحظة اعتراف نادرة.

فريدا كاهيلو رسمت نفسها غرورا لتهزم العالم الذي حطمها